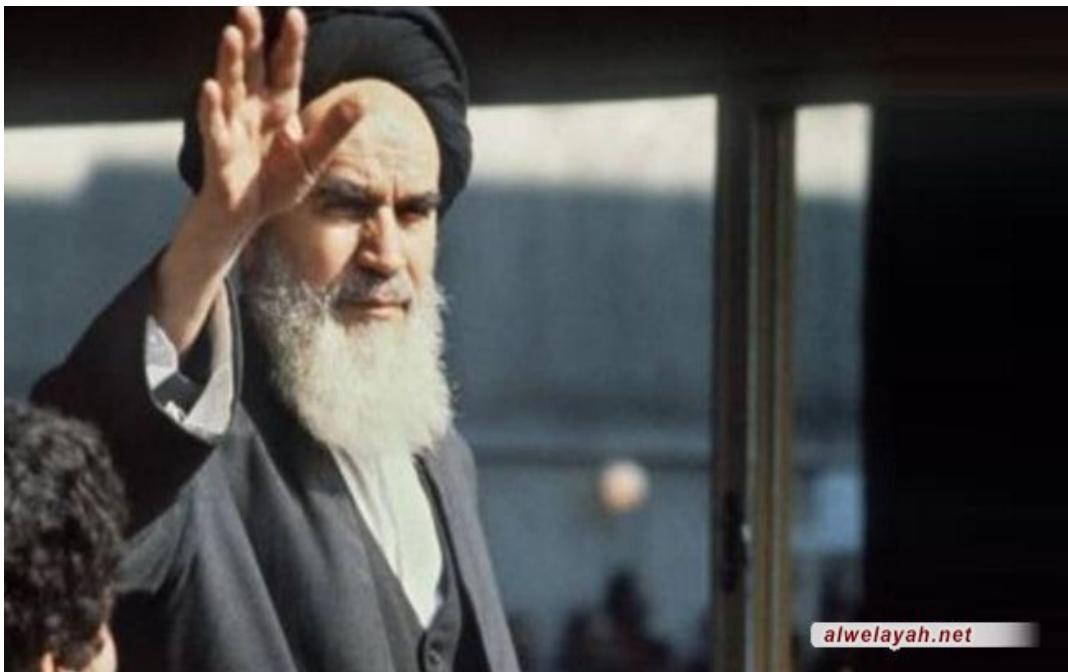


الآداب المعنوية للصلة، الإمام الخميني: في نبذة من آداب الوضوء الباطنية والقلبية



الفصل الخامس

في نبذة من آداب الوضوء الباطنية والقلبية

فمن ذلك ما ورد عن الإمام الرضا (هو الإمام الثامن من أئمة الهدى بضعة سيد الورى مولاي علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين المعصومين ، ولد عليه السلام حادي عشر ذي القعدة يوم الخميس أو يوم الجمعة بالمدينة سنة 148 ثمان وأربعين ومئة بعد وفاة جده الصادق عليه السلام بأيام قليلة ومكارم أخلاقه ومعالي أمره أكثر من أن تحصى وتذكر فعن إبراهيم بن العباس قال : ما رأيت أحداً من الحسن الرضا عليه السلام جفاً أحداً بكلامه قطٌّ ولا اتَّكَى بين يدي جليس له قطٌّ ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قطٌّ ولا رأيته تفل قط ولا رأيته يقهقه في ضحكه قط بل كان ضحكه التبسم وكان إذا خلا ونصبت مائدة أجلس معه على مائدة ممالike حتى الباب والسايس، وكان عليه السلام قليل النوم بالليل كثير السهر يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح وكان كثير الصيام فلا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ويقول ذلك صوم الدهر . وكان عليه السلام كثير المعروف والمدقة في السرّ وأكثر ذلك

يكون منه في الليالي المظلمة فمن زعم أنه رأى مثله في فضله فلا تصدقوه (انتهى) .

وقبض أبو الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام في آخر صفر كما اختاره ابن الأثير والطبرسي والسيد الشيلنجي من سنة 203 (رج) ثلاثة ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وتوفي بطوس في قرية يقال لها سناباد من نوقان على دعوة ودفن بها صلوات الله عليه . وكتب المأمون إلى أهل بغداد وبني العباس والموالي يعلمهم بمותו عليه السلام وإنّهم إنّما نعموا ببيعته وقد مات وسائلهم الدخول في طاعته فكتبوا إليه أغلط جواب .

وقال المدقوق: ولعلي بن أبي عبد الله الخوافي يرثي الرضا عليه السلام :

يا أرض طوس سقاك الله رحمته ماذا حويت من الخيرات يا طوس

طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها شخص ثوى بسنا آباد مرموس

شخص عزيز على الإسلام مصرعه في رحمة الله مغمور ومغموس

يا قبره أنت قبر قد تضمّنه حلم وعلم وتطهير وتقديس

فخرا بأنك مغبوط بجثّته لملائكة الأبرار محروس)

عليه السلام: "إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهرا إذا قام بين يدي الجدار وعند مناجاته ايّاه مطينا له فيما أمر نقينا من الارجاس والنجاسة مع ما فيه من ذهاب الكسل وطرد النعاس وتزكية الفؤاد للقيام بين يدي الجدار " .

فبين عليه السلام إلى هنا النكتة (الذُّكته): المسألة العلمية الدقيقة، يُتَوَمَّلُ إليها بدقة، وانعام فكر (المعجم الوسيط) (الناشر) من أصل الموضوع ونبّه أهل المعرفة وأصحاب السلوك بأن للوقوف في محضر الحق جلّ وعلا وللمناجاة مع قاضي الحاجات آداباً لابد أن تلاحظ حتى أنه مع القذارات الصورية والكتافات وكسالة العين الطاهرة أيضاً لا يحضر في ذلك المحضر فكيف إذا كان القلب معدناً للكثافات ومبتلىً بالقاذرات المعنوية التي هي أصل القذارات مع أن في الرواية: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم" . ومع أن ما يتوجّه به الإنسان إلى الحق تعالى وما يليق من العوالم

الخلقية أن ينظر إلى كبرىء ونصيب مع ذلك ما أهملت الطهارة الصورية والنظافة الظاهرة فقرروا صورة الطهارة لصورة الإنسان وباطنها لباطنه ومن جعله عليه السلام تزكية القلب في هذا الحديث الشريف من فوائد الوضوء يعلم إن للوضوء باطنا يكون به تزكية الباطن ويعلم أيضا الرابطة بين الظاهر والباطن والشهادة والغيب ويستفاد أيضا أن الطهور الظاهري والوضوء الصوري من العبادات واطاعة للرب ومن هذه الجهة الطهور الظاهر موجب للظهور الباطن ومن الطهارة الصورية تحصل تزكية الفؤاد .

وبالجملة السالك إلى الله لابد أن يتوجه في وقت الوضوء إلى أنه يريد التوجّه إلى المحضر المقدّس لحضور الكبارياء ومع هذه الحالات القلبية التي له لا يليق للمحضر بل أنه يطرد من جناب العزّ الربوبي فيشمّر ذيله بأن يسري الطهارة الظاهرة إلى الباطن و يجعل قلبه مورداً لنظر الحق بل منزلاً لحضور القدس ويطهره من غير الحق ويخرج من رأسه التفرعن وحب النفس الذي هو أصل أصول القذارات كي يليق بالمقام المقدّس. (أقول: أعلم إن النجاسة التي يجب إزالتها للصلة على أنواع منها ما هو على اللباس وظاهر البدن، وهذه النجاسة تغسل بالماء المطلق وتحصل الطهارة من الخبر التي هي من شروط الصلة، ونظير هذه النجاسة في عالم الباطن والمعنى التلوث بقدار المعاشي الصغيرة التي تصدر من المؤمن، وحيث أن مرتبة النجاسة فيها ضعيفة فتطهيره بالآلام الدنيوية وتوجّب رفعها الابتلاءات في عالم الطبيعة . قال تعالى: "إن تجتنوا كبائر ما تُنهون عنه نكفّر عنكم سيناتكم" (النساء 31) ومنها ما يسري ويجري إلى باطن الحسد وهو أيضاً على قسمين :

القسم الأول: ما يسري في جميع الجسم وهو ما يسمى بالحدث الأكبر والتطهير من هذه النجاسة والخباثة يحتاج إلى غسل جميع البدن بنية القربى إلى الله تعالى والتبعيد له حتى يكون بواسطة اقتران الغسل بقصد القرابة وانتسابه إلى حضرة الباري جلّ شأنه ، تأثير الماء في رفع النجاسة أقوى وأنفذ وإن كان على حساب المقدار والوزن قليلاً فيكون مثله مثل الإكسير الذي يؤثر قيراط منه في قنطرة من النحاس فيimir ذهباً خالصاً ، ومن المعاشي ما هو بمنزلة الحدث الأكبر في الروح وهي المعاشي التي رسخت جذورها في القلب وصارت منشأ للملكات الخبيثة والرذائل النفسانية من الكبر والحسد والشرك ونحوها وتسنمّى بالموبقات وقد أوعده الله سبحانه وتعالى صاحبها النار وآثار تلك المعاشي لا تزول عن القلب بسهولة بل لابدّ من التوبة الحقيقة بشرائطها وإلا فآخر الدواء الكيّ، أعادنا الله منه .

والقسم الثاني: النجاسة التي تسري إلى الباطن ولكن بمرتبة ضعيفة من السراية بحيث لا تصل إلى جميع البدن ويكتفي في تطهيرها غسل بعض الأجزاء تؤمماً يقصد القرابة والعبودية كما ذكرنا في الغسل وتسنمّى بالحدث الأصغر ، ونموذج هذه النجاسة في عالم الروح بعض المعاشي الكبيرة التي ليس لها جذر نفساني وكبعض المعاشي الذي قد يتفق للإنسان وخصوصاً في عهد الشباب ولكن حيث العميان أمر عارضي وليس ناشئاً

عن ملکة التعصي لقرب العهد من الفطرة فهو أقرب إلى رحمة الله والتنورة من أسهل . وقد أشير إلى ذلك في الروايات . منها ما رواه الصدوق قدس سره في الامالي عن الصادق عليه السلام أنه قال: "إن العبد لفي فسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عز وجل إلى ملكية اذنْي قد عمّرت عبدي عمراً فغلّطا عليه وشدا وتحفظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره . "

إذا لم يتمكن المصلي من الماء لتطهيره فقد جعل الله سبحانه له التراب أحد الطهورين لأن التراب أذن للأشياء على وجه الأرض يطؤه الناس بأقدامهم فلا بد للعبد أن يتّصف بصفته في جانب الحق فيمسح جبينه ويسمه باسمة الذلة والافتقار والعبودية ، ويرمز بهذا أيضا إلى أن ناصية الخلق بيد قدرته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، كما قال سبحانه: "ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها" (هود 56) . فلعله بإظهار الخضوع والمسكينة يجلب رحمة الله يوم يعرف المجرمون بسيما هم فيؤخذ بالنواصي والإقدام ثم يمسح يديه بالتراب وهو مظهر قدرته فيبذلله في حضرة القادر المطلق ويقف بعد ذلك في صف الحاضرين في المحشر .

وقال فقيه الفرقة الناجية الشهيد الثاني (قدس سره) :

فأمّا الطهارة، فليستحضر في قلبه ان تكليفه فيه بغسل الأطراف الظاهرة و تنظيفها لاطلاق الناس عليها و لكون تلك الأعضاء مباشرة للأمور الدنيوية منهملة في الكدورات الدينية فلن يظهر مع ذلك قلبه الذي هو موضع نظر الحق تعالى فإنه لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم .. وأنه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح المستخدم لها في تلك الأمور المبعدة عن جنابه تعالى و تقدس أولى وأحرى ، بل هذا تنبيه واضح على ذلك و بيان شاف على ما هنالك، ولتعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الاشتغال بعبادة الله تعالى و الإقبال عليه و الالتفات عن الدنيا بالقلب والحواس لتلقي السعادة في الأخرى إن الدنيا والآخرة ضرتان كلما قربت من إداحتها بعده عن الأخرى ، فلذلك أمر بالتطهير من الدنيا عند الاشتغال و الإقبال على الأخرى. فأمر في الوضوء بغسل الوجه لأن التوجه والإقبال بوجه القلب على الله تعالى به و فيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا فأمر بغسله ليتوجه به و هو حال من تلك الأدنس و يترقى بذلك إلى تطهيرها ما هو الركن الأعظم في القياس ثم أمر بغسل اليدين لمباشرتهم أكثر أحوال الدنيا الدينية و المشتهيات الطبيعية ثم بمسح الرأس لأن فيه القوة المفكرة التي يحمل بواسطتها القصد إلى تناول المرادات الطبيعية و تنبعث الحواس للإقبال على الأمور الدنيوية المانع من الإقبال على الآخرة السنية، ثم يمسح الرجلين لأن بهما يتوصل إلى مطالبة و يتوصل إلى تحصيل مآربه على نحو ما ذكر في باقي الأعضاء ، فيسوغ له الدخول في العبادة والإقبال عليها فائزًا بالسعادة ، و أمر

في الفصل بغسل جميع البشرة لأن أدنى حالات الإنسان وأشدتها تعلقا بالملكات الشهوية حالة الجماع و موجبات الغسل ولجميع بدنـه مدخل في تلك الحالة ولهذا قال صلى الله عليه و آله: "إن تحت كل شرة جنابة" .. فحيث كان جميع بدنـه بعيدا عن المرتبة العلية منغمسا في اللذات الدنيـة كان غسله أجمع من أهم المطالب الشرعية ليتأهل لمقابلة الجهة الشريفة و الدخول في العبادة المنيفة ويبعد عن القوى الحيوانية واللذات الدنيـية. ولما كان للقلب من ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكمل كان الاشتغال بتطهيره من الرذائل والتوجهات المانعة من درك الفضائل أولـى من تطهير تلك الأعضاء الطاهرة عند اللبيب العاقل . وأمر في التيمم بمسح تلك الأعضاء بالتراب عند تعذر غسلها بالماء الظهور وضعـا لتلك الأعضاء الرئيسية و هضمـا لها بتلقـيـها بأثر التربة الخسيـسة، وهـكـذا يخـطـر أن القـلبـ إذا لم يمكن تطهـيرـهـ من الأخـلاقـ والرذـيلةـ و تـحلـيـتهـ بـالـأـوـصـافـ الـجـمـيـلـةـ فـلـيـقـمـهـ فيـ مقـامـ الـهـضـمـ وـيـسـقـهـ بـسـيـاطـ الذـلـ والأـعـضـاءـ عـسـىـ أنـ يـطـلـعـ عـلـيـهـ مـوـلاـهـ الرـحـيمـ وـ سـيـدـهـ الـكـرـيمـ وـ هوـ منـكـسـرـ مـتـواـضـعـ فـيـهـ نـفـحةـ منـ نـفـحـاتـ نـورـهـ الـلـامـعـ فإـنـهـ عـنـدـ الـقـلـوبـ الـمـنـكـسـرـةـ كـمـاـ وـرـدـ فـيـ الأـثـرـ فـتـرـقـ مـنـ هـذـهـ الـاـشـارـاتـ وـ نـوـهـاـ إـلـىـ مـاـ يـوـجـبـ لـكـ الـاقـبـالـ أوـ تـلـافـيـ سـالـفـ الـاهـمـالـ .)

ثم بيـنـ الرـضاـ سـلامـ اللهـ عـلـيـهـ وجهـ اختـصـاصـ الـاعـضـاءـ الـمـخـصـوصـةـ لـلـوـضـوـءـ فـقـالـ :

" وـاـنـّـمـاـ وـجـبـ عـلـىـ الـوـجـهـ وـالـيـدـيـنـ وـالـرـأـسـ وـالـرـجـلـيـنـ لـاـنـ الـعـبـدـ اـذـ قـامـ بـيـنـ يـدـيـ الـجـبـارـ فـاـنـمـاـ يـكـشـفـ مـنـ جـوـارـحـهـ وـيـظـهـرـ مـاـ وـجـبـ بـهـ الـوـضـوـءـ وـذـلـكـ أـنـهـ بـوـجـهـهـ يـسـجـدـ وـيـخـضـعـ وـبـيـدـهـ يـسـأـلـ وـيـرـغـبـ وـيـرـهـبـ وـيـتـبـتـلـ وـبـرـأـسـهـ يـسـتـقـبـلـهـ فـيـ رـكـوعـهـ وـسـجـودـهـ ،ـ وـبـرـجـلـيـهـ يـقـومـ وـيـقـعـدـ " .

وـحـاـصـلـ ماـ قـالـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ اـنـ حـيـثـ أـنـ لـهـذـهـ الـاعـضـاءـ دـخـلـ فـيـ عـبـودـيـةـ الـحـقـ تـعـالـىـ وـالـعـبـودـيـةـ تـظـهـرـ مـنـ هـذـهـ الـاعـضـاءـ فـلـهـذـاـ وـجـبـ تـطـهـيرـهـاـ ..ـ وـبـعـدـ هـذـاـ بيـنـ عـلـيـهـ السـلـامـ الـأـمـرـ الـتـيـ تـظـهـرـ مـنـ هـذـهـ الـاعـضـاءـ ،ـ وـبـهـذـاـ فـتـحـ بـاـبـ الـاعـتـبـارـ وـالـاسـتـفـادـةـ لـاـهـلـهـماـ ،ـ وـأـرـشـ أـهـلـ الـمـعـارـفـ إـلـىـ أـسـرـارـهـاـ بـأـنـ مـاـ هـوـ مـحـلـ لـلـعـبـودـيـةـ فـيـ مـحـضـ الـحـقـ تـبـارـكـ لـاـ بـدـ أـنـ يـكـونـ طـاـهـرـاـ وـمـطـهـرـاـ وـالـاعـضـاءـ وـالـجـوـارـ الـطـاهـرـيـةـ الـتـيـ يـكـوـنـ لـهـاـ حـظـ نـاقـصـ مـنـ تـلـكـ الـمـعـانـيـ لـاـ تـلـيقـ لـذـلـكـ الـمـقـامـ مـنـ دـوـنـ طـهـارـتـهـاـ وـمـعـ أـنـ الـخـضـوـعـ لـيـسـ مـنـ صـفـاتـ الـوـجـهـ عـلـىـ الـحـقـيـقـةـ وـالـسـؤـالـ وـالـرـغـبـةـ وـالـرـهـبـةـ وـالـتـبـتـلـ وـالـاسـتـقـبـالـ لـيـسـ شـيـءـ مـنـهـاـ مـنـ شـؤـونـ الـاعـضـاءـ الـحـسـيـّـةـ وـلـكـ حـيـثـ أـنـ هـذـهـ الـاعـضـاءـ مـطـاـهـرـاـ لـذـلـكـ الـأـمـرـ لـزـمـ تـطـهـيرـهـاـ ،ـ فـعـلـيـهـ هـذـاـ إـنـ"ـ تـطـهـيرـ الـقـلـبـ الـذـيـ هـوـ مـحـلـ حـقـيـقـيـ لـلـعـبـودـيـةـ وـمـرـكـزـ وـاقـعـيـ لـتـلـكـ الـمـعـانـيـ يـكـوـنـ أـلـزـمـ ،ـ وـبـدـوـنـ تـطـهـيرـ الـقـلـبـ لـوـ غـسـلـتـ الـاعـضـاءـ الـصـورـيـةـ بـسـبـعـةـ أـبـحـرـ مـاـ تـطـهـرـتـ وـلـاـ تـوـجـدـ فـيـهـاـ لـيـاقـةـ لـذـلـكـ الـمـقـامـ بـلـ يـكـوـنـ لـلـشـيـطـانـ فـيـهـاـ تـصـرـفـ وـيـكـوـنـ الـمـرـءـ مـطـرـوـداـ مـنـ حـضـرـةـ تـطـهـرـتـ وـلـاـ تـوـجـدـ فـيـهـاـ لـيـاقـةـ لـذـلـكـ الـمـقـامـ بـلـ يـكـوـنـ لـلـشـيـطـانـ فـيـهـاـ تـصـرـفـ وـيـكـوـنـ الـمـرـءـ مـطـرـوـداـ مـنـ حـضـرـةـ العـزـةـ .ـ (ـ يـجـبـ عـلـيـهـ السـالـكـ الـطـالـبـ أـنـ يـرـاعـيـ آـدـابـ الـوـضـوـءـ كـمـاـ قـالـ الصـادـقـ عـلـيـهـ السـلـامـ :ـ "ـ وـاـنـ بـآـدـابـهـ فـيـ فـرـائـصـهـ وـ سـنـنـهـ "ـ لـيـسـتـعـدـ لـلـحـضـورـ وـ يـسـتـفـيدـ مـنـ عـيـونـ فـوـائـدـهـ كـمـاـ وـعـدـهـ الـإـلـامـ الـصـادـقـ عـلـيـهـ

السلام فالأدب الأول أن يتوجه إلى القبلة و مركز العبادة و نقطة التوحيد التي هي من عمد الشرائع الصلاوية ليستفيد من فوائد الاستقبال التي سنذكرها في محلها ، و قد أشير إلى هذا الأدب في الرواية : " و ان من توضأ حيال القبلة كان له ثواب صلاة ركعتين " و ينبغي أن يكون وقوفه الواقوف في مقام الحمد حيث أذن له رب العزة و السلطان بالحضور و هو الآن في مقام تحصيل مقدمات التشرف لينال هذا الشرف فيأخذ غرفة من الماء و يغسل يديه من المرفقين و ليتقطن أنه كما يغسل بالماء الظاهر الذي هو سبب حياة لكل حي ظاهر كذلك يغسل باطنه بالعلم و هو الموجب لحياة القلوب و الأرواح فينور به قلبه وروحه، فأخذه الماء صورة تناول الرحمة الإلهية ليظهر بها من كل عيب و نقص و يغسل يديه من العيوب ومن حوله و قوته اشواك طريق السلوك و لعل غسل اليد اليسرى يرمز إلى أنه لا حول عن المعاصي إلا بـ ، و اليد اليمنى إلى أنه لا قوة على الطاعات إلا بـ .

وأيضاً أن اليد مظهر الامساك والقبيح وبواسطة الحرث والبخل تمسك عن البسط في الخيرات ، قال تعالى: "وقالت اليهود يد الله مغلولة غلٰت أيديهم ولعنوا بها قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء" (المائدة 64) . فليتنبه بأن قبض اليد الظاهرة مانع عن اغتراف الماء النازل من سماء الدنيا كذلك قبض اليد المعنوية مانع عن تناول ماء الرحمة النازل من سماء العلم والحكمة وبصـ الماء باليمين على اليسرى يتنبـه انه لابد له من بسط اليد في البذل والاعطاء والايثار في سبيل رضى المحبوب ، ولا يمسك يده ، قال تعالى : " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " (آل عمران 92) .

وأيضاً يرمز بغسل اليد إلى غسل يده عـما نهى عنه الشارع وبالخصوص المنهيـات التي تتحقق باليـد كالسرقة والتعدـي والغصب وأمثالـها .

ويتقطن أيضاً إلى أنه كما أن النوم في الليل أو النهار حدث يوجب هذا الوضوء الذي هو بصدده كذلك الغفلة عن مقام الغيب والشهود حدث لابد لك من رفعـة فبغسل يديه مستمدـاً من مقام الرحـمانـية والرحـيمـية للحق تعالى شأنـه يرفعـ ذاكـ الحـدـثـ . وقد وردـ فيـ الحـدـيـثـ " لاـ وـضـوءـ لـمـنـ لـاـ يـسـمـ اللهـ " فيـغـسلـ يـديـهـ قـائـلاـ بـسـمـ اللهـ الرحمنـ الرحـيمـ ثمـ يـقـولـ : " الحـمـدـ اللهـ الذيـ جـعـلـ المـاءـ طـهـورـاـ وـلـمـ يـجـعـلـهـ نـجـسـاـ " وهذاـ اـشـارةـ إلىـ مقـامـ الحـمـدـ الذيـ ذـكـرـنـاهـ ، ثمـ يـتـنبـهـ إـلـىـ الـجـهـاتـ الـتـيـ ذـكـرـهـ الـاـسـتـادـ فـيـ الطـهـارـةـ وـيـقـولـ : " اللـهـمـ لـقـنـدـيـ حـجـتـيـ يـوـمـ الـلـقـاـكـ " التـوـبـةـ مـنـ اللهـ ثمـ يـتـمضـمـصـ وـيـجـريـ ذـكـرـهـ الـجـمـيلـ عـلـىـ الـلـسـانـ بـقـوـلـهـ : " اللـهـمـ لـقـنـدـيـ حـجـتـيـ يـوـمـ الـلـقـاـكـ " وـمـعـنـىـ ذـكـرـكـ " وـمـعـنـىـ تـلـكـ الـمـضـمـضـةـ الـتـيـ يـطـهـرـ بـهـ فـمـهـ فـضـولـ الـطـعـامـ أـنـهـ يـطـهـرـ فـمـهـ وـلـسـانـهـ وـأـطـلـقـ لـسـانـيـ بـذـكـرـكـ " وـمـعـنـىـ ذـكـرـكـ " وـمـعـنـىـ تـلـكـ الـمـضـمـضـةـ الـتـيـ يـطـهـرـ بـهـ فـمـهـ فـضـولـ الـطـعـامـ أـنـهـ يـطـهـرـ فـمـهـ منـ الذـكـرـ الـقـبـيـحـ وـمـنـ فـضـولـ الـكـلـامـ (وـفـضـولـ الـكـلـامـ يـمـيـتـ الـقـلـبـ) وـمـمـاـ يـحـرـيـ عـلـىـ لـسـانـهـ وـيـخـرـجـ مـمـاـ يـمـقـتـهـ اللهـ وـيـدـخـلـهـ النـارـ كـمـاـ قـالـ مـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآـلـهـ : " وـهـلـ يـكـبـ النـاسـ عـلـىـ مـنـاخـرـهـمـ فـيـ النـارـ " .

الا حصاد ألسنتهم" . فيزيده بذكر اه و تلاوة القرآن .

ثم يستنشق، وحقيقة اخراج الكبر والتعالي من دماغه كما يخرج بالاستنشاق فضولات الدماغ من طريق أنفه وينقي مجراه ويستعد لشم الروائح العطرة المعنوية التي تهب من حي الحبيب ووجدان نفس الرحمن من جانب اليمن والوادي الایمن ، ويقول بلسانه رمزاً لذلك المعنى :

" اللهم لا تحرمني ريح الجنة وأجعلني ممن يشم ريحها وروحها وطيبتها " ثم يغسل وجهه ويتوجّه إلى أن" ذلك يرمز إلى بياض الوجه وتحصيل ماء الوجه عند اه سبحانه فيتذكّر قصوره وقصير وجلته وسود وجهه ويستجير باه من أن يلقى اه سبحانه بهذه الحالة كما يحكيها اه سبحانه :

" ويوم القيمة . ترى الذين كذبوا على اه وجوههم مسودة " (الزمر 60) .. وقال تعالى : " وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة " (عبس 40 - 41) . وليستحي من اه سبحانه لما رأه حيث نهاه ولما توجّه إلى غير مولاه . ونعم ما قيل :

قالوا غداً نأتي ديار الحمى وننزل الركب بمغناهم

فكل من كان محباً لهم يصبح مسروراً بلقائهم

قلت فلي ذنب وما حيلتي بأي وجه أتلقاهم

قالوا أليس العفو من شأنهم لاسيما عمّن ترجمّا لهم

وقد ورد في الحديث أنه يقول عند غسل وجهه " اللهم بيّهن وجهي يوم تسود الوجوه ولا تسود وجهي يوم تبييض الوجوه " .

ويذكر عندما يغسل اليدين ان باطنه غسل الايدي من مرافق رؤية الاسباب التي هي أبداً صنع المعبود إلى منتهى أنامل المباشرة والاكتساب .

وأيضاً هو غسل اليد عن الخلق وتفويض الامر إلى اه والاستعداد للتمسك بذيل المحبوب وقرع به كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في حق عباد اه وأصحاب الذكر " لكل باب رغبة إلى اه منهم يد قارعة " .

ويتذكر أيضاً موقف القيامة وتطاير الكتب وأحوال الناس في ذاك الوقت كما قال تعالى : " فأمّا من أötti كتابه بيمينه " (الحاقة 25) " وأمّا من أötti كتابه بشماله " (الحاقة 25) .. فيقول عند غسله اليمنى " اللهم اعطني كتابي بيميني والخلد في الجنان بيسارى وحاسبني حسناً يسيراً " .

ويقول أيضاً عند غسله اليسرى : " اللهم لاتعطني كتابي بشمالي ولا من وراء ظهرى ولا تجهلها مغلولة إلى عنفي وأعود بل من مقطّعات النيران "

ويمسح رأسه من الخضوع لغير الله ومن الكبرياء العارضة له اذ عدّ نفسه شيئاً ومن التشمخ الذي عرض له من النظر إلى نفسه ويذكر عند مسح رأسه خطيئة أبيه آدم وميله إلى الشجرة المنية ووضعه يد الذلة والافتقار على أمّ رأسه كما في الرواية يحيى شرحها وينادي ربه كما نادى أبوه ربّنا ظلمتنا أنفسنا ليشمله غفران رب الرحيم من قرنه إلى قدمه ، ويتحقق معنى الدعاء الوارد عند مسح الرأس من قوله : " اللهم غشّني برحمتك وبركتك وعفوك ومغفرتك " .

ويمسح رجليه من المشي إلى دار الغربة وأرض المذلة ، ويطهّرها أيضاً عن المشي بالكبير . قال تعالى : " ولا تمش في الأرض مرحًا " (الاسراء 37) ويمشي بقدم العبودية والهوان ليصدق عبوديته للرب الرحمن .. قال تعالى : " وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا " (الفرقان 63) " ويلزم تصميماً على الثبات في طريق الجهاد وميدان الجهاد الأصغر والأكبر والمشي على المراط المستقيم ويقول بلسان قوله " اللهم ثبّت قدمي على المراط يوم تزلّ فيه الأقدام واجعل سعيي فيما يرضيك عنّي " .

وبالجملة ،凡 انه يراعي حالة الخضوع والحضور في جميع حالات الوضوء فانه من العبادات ، والعبادة بلا حضور كجسم بلا روح .

ونتبرك في ختام هذا البحث بذكر رواية شريفة حاوية لسرار عظيمة وهي ما وراث العارف السعيد القاضي سعيد القمي بعد كلام له قال في كتاب المراج للشيخ أبي محمد الحسن رضي الله عنه في حديث طويل ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " ثم قال لي ربي يا محمد مدّ يديك فيتلقاك ما يسيل من ساق العرش اليمين فنزل الماء فتلقيته باليمين ثم قال : يا محمد خذ ذاك الماء فاغسل به وجهك وعلّة غسل الوجه انك تريد أن تنظر إلى عظمتي وأنك طاهر ثم اغسل ذراعيك اليمين واليسار وعلّة ذلك أنك تريد أن تتلقى بيديك كلامي وامسح رأسك بفضل ما بيديك من الماء ورجليك إلى كعبيك وعلّة المسح أني أريد اوطئك موطننا لم يطأ أحد قبلك ولا يطؤه أحد غيرك " .

وصل: ومن ذلك ما عن العلل بأسناده قال : " جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألوه عن مسائل ، وكان فيما سألهما أخبرنا يا محمد لا ي" علّة نتوضاً هذه الجوارح الاربع وهي أنظر المواقع في الجسد ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله : لما أن وسوس الشيطان إلى آدم ودنا من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه ثم قام ومشى إليها وهي أول قدم مشت إلى الخطيئة ثم تناول بيده منها ما عليها وأكل فتطاير الحلي والحلل عن جسده فوضع آدم يده على أم رأسه وبكي فلما تاب الله عليه فرض الله عليه وعلى ذريته تطهير هذه الجوارح الاربع فأمر الله عز وجل بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة وأمره بغسل اليدين إلى المرفقيين لما تناول بهما وأمر بمسح الرأس لما وضع يده على أم رأسه وأمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة " .

وفي باب علّة وجوب الصوم ايضا :

عن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام قال :

" جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألهم عن مسائل ، فكان فيما سأله أن قال له : لا ي" شيء فرض الله عز وجل الصوم على أمّتك بالنهار ثلاثة أيام وما وفرض على الأمة السالفة أكثر من ذلك ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله إن آدم لما أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثة أيام ففرض الله تعالى على ذرّيته ثلاثة أيام الجوع والعطش والذي يأكلونه تفضّل من الله تعالى عليهم " (الحديث) .

فمن هذه الأحاديث لاهل الإشارات واصحاب القلوب استفادات منها أن خطيئة آدم عليه السلام مع أنها ما كانت من قبيل خطايا غيره بل لعلها كانت خطيئة طبيعية أو أنها كانت خطيئة التوجّه إلى الكثرة التي هي شجرة الطبيعة أو كانت خطيئة التوجّه إلى الكثرة الاسمائية ، بعد جاذبة الفناء الذاتي ولكنها ما كانت متوقعة من مثل آدم عليه السلام الذي كان صفي الله والمخصوص بالقرب والفناء الذاتي ولهذا أعلن الذات المقدسة وأذاع بمقتضى الغيرة الحبية عصيانه وغوايته في جميع العوالم وعلى لسان الانبياء عليهم السلام ، وقال تعالى : " وعمى آدم ربّه فغوى " . (طه - 2) . ومع ذلك لا بد من التطهير والتنبيه بهذه المثابة له ولذرّيته التي كانت مستكنته في صلبه ومشتركة في خططيته بل اشتركوا في الخطيئة بعد الخروج من صلبه أيضا فكما أن خطيئة آدم وأبنائه مراتب ومظاهر فأول مرتبتها التوجّه إلى الكثارات الاسمائية وآخر مظاهرها الاكل من الشجرة المنهية التي صورتها الملكوتية شجرة فيها أنواع الثمار والفاواكة وصورتها الملكية هي الطبيعة وشئونها ، وان حب الدنيا والنفس هما موجودان باستمرار في الذرية لمن شؤون هذا الميل إلى الشجرة والأكل منها كذلك لتطهيرهم وتنزيههم وطهارتهم

وصلاتهم وصيامهم للخروج من خطيئة اب الذي كان هو الاصل ايضا مراتب كثيرة مطابقة لمراتب الخطيئة .

وقد علم من هذا البيان ان جميع أنواع المعاصي القالبية لابن آدم هي من شؤون أكل الشجرة ، وتطهيرها على نحو خاص : وان جميع أنواع المعاصي القلبية لهم ايضا من شؤون تلك الشجرة وتطهيرها بطور آخر . وان جميع أنواع المعاصي الروحية من تلك وتطهيرها بطور خاص وان تطهير الاعضاء الطاهرية هو ظل^٢ الطهارات القلبية والروحية للكم^٣ل ووظيفة ووسيلة لتطهير القلب والروح لاهل السلوك . وما دام الانسان في حجاب تعين^٤ الاعضاء وطهارتها وواقف في ذلك الحد فليس هو من أهل السلوك ، وهو باق في الخطيئة ، فاذا استغل بمراتب الطهارات الطاهرية والباطنية وجعل الطهارات المchorية القشرية وسيلة للطهارات المعنوية اللبية ولاحظ في جميع العبادات والمناسك حظوظها القلبية وتمتع منها بل اهتم بالجهات الباطنية أكثر من الطاهرية وعرف أنها هي المقصود الاعلى دخل في باب سلوك الانسانية كما أشار اليه في الحديث الشريف في مصباح الشريعة حيث يقول فيه : " وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء " فيلزم للإنسان السالك العلمي كي يشخّص ببركة أهل الذكر عليهم السلام مراتب العبادات ويرى العبادات المchorية مرتبة نازلة للعبادات القلبية والروحية ثم يشرع في السلوك العلمي الذي هو حقيقة السلوك ، وغاية هذا السلوك هي تخلية النفس عن غير الحق وتحليتها بالتجليات الاسمية والصفاتية والذاتية ، فاذا حصل للسالك هذا المقام فحينئذ ينتهي سلوكه وتحصل له الغاية في السير الكمالى فينال اسرار النسك والعبادات ولطائف السلوك وهي التجليات الجلالية التي هي اسرار الطهارات والتجليات الجمالية التي هي غايات العبادات الآخر، وتفصيلها خارج عن مجال هذه الوراق .